تستعد لإصدار روايتها الثالثة قريبا

الروائية الأردنية غصون رحال: لن أقع في خطيئة التفرغ للكتابة أو امتهان الأدب!

عمان ـ «القدس العربي»:

تنتمي الروائية غصون رحال إلى الجيل الأدبي الجديد في الأردن والذي برز خلال التسعينات من القرن الماضي، وبدأ بلفت الانتباه إليه خلال السنوات الخمس المنصرمة، وهي قادمة إلى عالم الرواية من مهنة المحاماة والعمل القانوني، إضافة إلى نشاطها المتواصل في مجال حقوق الإنسان، وقد أصدرت روايتين عن دار الشروق للنشر والتوزيع في عمان هما «موزاييك» 1999، و«شتات» 2002، وتبدو مخلصة لفن الرواية، إضافة إلى كتابة بعض المقالات المتنوعة، وهي تستعد لإصدار روايتها الثالثة قريبا، وقد ساهمت الكتابات النقدية عن عمليها في الانتباه إلى تجربتها الروائية الناضجة والتي تعد بالكثير في المستقبل أيضا، وتبدو أعمالها منشغلة بأجواء جديدة منها ما يتعلق بالعلاقات بين المثقفين، أو بالعمل الصحافي العربي في بلاد الغرب، وكيفية التعايش مع الثقافات الأخرى واستحقاقاتها ضمن سرد سلس، ومتماسك، وتقول سيرتها الذاتية انها من مواليد الكويت، وحاصلة على شهادة الماجستير في مجال «القانون في التنمية «من جامعة Warwick البريطانية، كما أن أسفارها المتواصلة لعدد من دول العالم ساهم في منح أعمالها صبغة خاصة قادمة من خبراتها في هذا المجال.

هنا حوار مع الروائية رحال حول تجربتها الروائية وآفاقها الجديدة:

■ في روايتك الأولى «موزاييك» اهتمام واضح بعوالم المثقفين والكتاب، وكأنك تنقلين هواجسك الخاصة عنهم، كونك واحدة منهم، فكيف تجنبت الوقوع في أسر السيرة الذاتية لصالح العالم الروائي المتخيل؟

■ رغم أن «موزاييك» كانت عملي الأول، إلا أنني كنت أعي أثناء كتابتها طبيعة التفريق ما بين العمل الروائي، والسيرة الذاتية. وربما كان لقراءاتي على مدى سنوات طويلة لأطنان من الكتب على اختلاف مواضيعها وأجناسها دور في تشكيل هذا الوعي، أتصور أن سنوات القراءة الطويلة قد أكسبتني حصانة ما ضد أي انتهاك لقواعد العمل الروائي، ومهارة الحفاظ على الخط الفاصل ما بين السيرة الذاتية والرواية. لست ادعي أن «موزاييك» لا تتناول مفاصل مرحلية من حياتي، أو إن «رحيل» لا تشبهني، أو أن شخصيات الرواية متخيلة ومصطنعة بالكامل، فإن ادعيت ذلك أعرف أنه لن يصدقني احد.

موزاييك هي خزين الذاكرة، الغيمة التي ظللت رأسي لسنوات طوال ثم انفجرت فجأة ليتدفق ما بها من مطر دفعة واحدة. شخصياتها واقعية، يمثلون شريحة هامة من محيطي، تفاعلت معهم وانخرطت في صفوفهم لست لأنني كاتبة ـ فلم أكن قد اقترفت الكتابة بعد ـ ولكن لشغفي بمثل هذه الأجواء الضبابية التي تعبق فيها أدخنة السجائر، والحوارات الهلامية التي ما كنت اخرج منها بما هو مفيد، مما يضفي على تلك الأجواء المزيد من الضبابية والغموض، تثيران شهيتي للعبث أحيانا والاكتشاف أحيانا أخرى. بعدئذ، فتنت بهاجس الاكتشاف، دخلت ذلك العالم مسلحة بما املك من علم وسعة اطلاع، كشفت ستره وعريته، استبحت خصوصياته، فتراكم لدي كم هائل من الأحداث بما يكفي لصنع رواية. وبتوظيف الكثير من الخيال الجانح، والقليل من الكذب الجميل، ولمسة من التقنيات والفنيات الأدبية جعلت من الكتّاب والمثقفين شخصيات روائية حية.

اعترف أنني واجهت صعوبات جمة من أجل العمل على تحويل الشخصيات الحقيقية إلى شخصيات روائية، لكني تدبّرت الأمر، أضفيت على بعض الشخصيات ملامح من النبل أحيانا، وأسبغت عليها مزايا من الحكمة أحيانا أخرى، وأبى قلمي في اغلب الأحيان إلا أن ينطق بالحقيقة كما هي... فكانت «موزاييك».

■ لاحظت أن روايتك الثانية «شتات» ذهبت بعيدا إلى عوالم اغرابية الطابع، فالشخصية الأساسية عراقية تجمعها علاقة مع هندي، ومكان الشخصيات القادمة من بلاد عربية شتى هي إحدى المدن الفرنسية فكيف حدث أن تركت القريب من الأمكنة والشخصيات لصالح القصي والمختلف؟

■ إذا صحّ فهمي لمصطلح «إغرابية» في انه الموازي لمصطلح «الاستشراق»، فاستطيع الإجابة بنعم. «شتات» ذهبت إلى عوالم ابعد مما ذهبت إليه «موزاييك» بتواطؤ مقصود من قبلي. لأني، وببساطة شديدة جدا، أردت أن اخرج بنا من أقفاصنا الضيقة إلى أماكن جديدة، حيث الفضاء أوسع وأرحب، كما جنحت إلى الانتقال بنا من وجهة النظر الواحدة إلى أجواء من التعددية، والنسبية والاختلاف. أردت أن ابتعد قليلا عن واقعنا ومشاكلنا ومآسينا والانخراط في هموم الآخرين من أجل لفت النظر إلى شكل من أشكال «عولمة» الهم الإنساني.

قد يصح الادعاء بأنه كان الأجدر بي معالجة القريب قبل الانتقال إلى البعيد، لو أن روايتي الأولى «موزاييك» لم تفعل ذلك. «موزاييك» حكت حكاية الأمكنة القريبة كلها، تناولت حقبة زمنية معاصرة، وأمكنة على مرمى حجر، حتى ليخيل إلي أحيانا ان بإمكان القارئ إسقاط الأسماء الرمزية عن شخصياتها وتسميتهم بأسمائهم الحقيقية دون كثير عناء.

وحتى لا أقع في التكرار، اخترت لروايتي الثانية «شتات» شكلا مغايرا، وواقعا بعيدا، وشخصيات متخيلة. فمن ناحية، انتقلت بالقارئ إلى «ستراسبورغ» الفرنسية لأضعه، في مواجهة مثقفيها، غربائها، بسطائها، مزاجها، تراثها، وتاريخها الذي ترسخ من خلال الثورة الفرنسية التي أطلقت مُثل الحق، والخير، والجمال. أردته ان يفحص مصداقية هذه المثل بنفسه، ويقارن عدالة تطبيقها بين عالمين ؛ عالمهم الحر والحضاري، والعوالم الأخرى التي يصفونها بالمتخلفة. كان من المهم ان نعي صورتنا عند الآخر، كما هو مهم ان نفهم صورة الآخر على أرضه وفي ملعبه. كان لا بد من لقاء، من حوار نخرج بعده بصيغ ومفاهيم مشتركة تعيد الى هذا العالم المجنون توازنه. ومن ناحية أخرى، أردت أن نمنح أنفسنا فرصة النظر الى صورتنا عن بعد يكفي لأن نلم بأبعاد المشهد كاملا ، ويكفي لأن نستوعب كامل المشهد من منظور حر ومحايد.

انظر إلى علاقة «شجن» سواء مع الشاب الهندي او «جان» الفرنسي على أنها علاقة ندّية غنية بالخبرات المتبادلة، وجديرة بالاهتمام. علاقات نفض عنها الكثير من الغبار فقط عندما وضع كل طرف حسّه في التفوق العرقي جانبا. علاقة «شجن» مع الشاب الهندي نقلت اليها معارف جديدة، طازجة، مبهرة أحيانا، معقدة وعصية على الفهم أحيانا أخرى، غير ان التواصل فيما بينهما تم بانسيابية طبيعية للغاية، أتاح لها ان تنقل اليه هي الأخرى ملامح ثقافتها العربية الغريبة عنه، فحدث حينها التوافق المبدئي ما بين حضارة الصمت وحضارة الثرثرة.

بكل أسف بات القصي أكثر قربا، والبعيد ملاذا بعد أن ضاقت الأوطان بأبنائها، فالنماذج التي تطرحها الرواية من الشباب العرب المهاجرين، جمعهم العمل في فرنسا بعد ان فرّقتهم قسوة بلدانهم، وكل شخصية من شخصيات الرواية ـ على اختلاف الجنسية العربية التي تحملها ـ تمثل قصة انكسار ومهانة عاشتها في الوطن دفعت بها الى الفرار بحثا عن الذات.

مجمل الحكاية أن الأوطان قد تعددت، لكنها ضاقت حتى باتت أشبه بعشش الدجاج، فغدا من حقنا أن نعقد مقارنات، ولو بسيطة، بين إنسان الشمال وإنسان الجنوب.

■ بالمناسبة هل فكرت وأنت تكتبين «شتات» بالاشتغال المقصود على ثنائية الشرق والغرب (الذين لن يلتقيا) رغم أن معارفك عن هذا العالم بدت لي نظرية ومتخيلة أكثر منها عن خبرات طويلة؟

: بالمناسبة، «شتات» لا تتحدى صراع الحضارات «لصموئيل هنتنغتون» ولا هي البديل عن نهاية التاريخ «لفوكوياما»، ولا تؤكد أيضا على ما ذكرته بخصوص ثنائية الشرق والغرب (اللذين لن يلتقيا)، فلست معنية بتاتا بإطلاق الأحكام المطلقة او المسبقة.

المسألة لا تحتمل كل هذه التعقيدات، «شتات» ليست أكثر من انعكاس لخبرات شخصية كونتها على مدى سنوات طويلة من حياتي، تنقلت فيها بين الكثير من بلدان العالم، تعرفت على أطيافه الثقافية، والاجتماعية، والسياسية وكونت من خلالها قناعاتي الخاصة، التي وان لم تكن نتاج احتكاك وتعايش طويل الأمد، الا انها كانت كافية لخوض غمار تجربة الكتابة، هذا عدا على ان شتات بشكل عام تمثّل تراكما لجميع هذه الخبرات أكثر منها نتاج تجربة وحيدة عشتها في فرنسا. كل ما في الأمر أن العمل الروائي يتطلب مكانا ما تدور فيه الأحداث، ووقع اختياري على «ستراسبورغ» لتكون هي المكان الذي تدور فيه أحداث الرواية، مما لا يعني ان الرواية هي موجز وثائقي عن الفترة التي امضيتها هناك. اخترت «ستراسبورغ» لأسباب تخصني شخصيا، كونها تقع في الالزاس وهي المنطقة التي وصلها العرب يوما في فتوحاتهم، ولأن بها أكبر مركز من مراكز التجميع «الهولوكوست» بما يمثله هذا الرمز من جدل، ولأنها تضم معلمين هامين من المعالم الحضارية الحديثة، هما البرلمان الأوروبي، والمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان. وفي «ستراسبورغ» أيضا تأرجح القيم والمعايير ما بين حضارة العلم والنور، وتخلّف التفوق العرقي والمزاجية وازدراء الأغراب. إنها الحضارة وضدها !

كل هذه التناقضات جعلتها المكان الأنسب لأن تدور أحداث روايتي فوق تناقضاتها، واعتقد ان الرواية، ووفقا لرؤيتها الخاصة، قد ألقت ما يكفي من الضوء على جدلية تنافر الأقطاب، أو ثنائية الشرق والغرب.

■ دعينا نعرج على روايتك الجديدة التي أنهيتها مؤخرا.. هل لك أن تضعينا في صورة الجديد فيها على صعيد الشكل الفني والمضامين قياسا لروايتيك السابقتين؟

■ سأبوح لك بسر صغير. أخشى الحديث عن أعمالي قبل صدورها. أنا جبانة فيما يخص التصريح عما هو قادم. بإمكاني فقط القول ان الرواية الجديدة، والتي انتهيت منها أخيرا، تختلف اختلافا نوعيا عن العملين السابقين من حيث الشكل والمضمون. فمن حيث الشكل هي رواية ذات بنية بسيطة، لا تحمل تعقيدات الروايتين السابقتين. أما في المضمون، فهي تطرح أسئلة ملحة وموجعة في اطار سردي يعكس حجم ما وصلنا اليه من العبثية والاستلاب والنزوع الى الخلاص الفردي.

■ أود أن أعرف مدى تعانق خبراتك العملية في مجال القانون وحقوق الإنسان مع أعمالك الأدبية أم أن الأمر منفصل تماما؟

■ حتما ليس هناك انفصال، أعتقد أنها تتعانق بقوة حتى تكاد تخنقني!

فحياة الإنسان عبارة عن سلسلة متواصلة من التجارب غير المنقطعة، ولست أدري بالضبط اي هذه التجارب كان لها النصيب الأكبر في تزويدي بالخبرات الإنسانية التي جعلتني اجنح إلى الكتابة. بالطبع، ساهمت دراستي للقانون وممارستي لمهنة المحاماة، بداية، في توسيع دائرة معارفي النظرية، فالقانون كما تعلم من العلوم «الطفيلية» التي تكاد تطال كافة جوانب الحياة بالبحث والتمحيص. ومن ثم عمدت ممارستي لمهنة المحاماة الى وضعي وجها لوجه امام حقيقة ازلية ثنائية الأقطاب هما؛ العدالة والظلم. اشتبكت هذه الحقيقة مع حسي الفطري القائم على رفض الظلم وطورّته، فاتجهت الى قضايا حقوق الإنسان.

وللحق، كان النصيب الأهم والأكبر من كتاباتي مبنيا على تجاربي في مجال حقوق الإنسان، فعملي كناشطة وبعد ذلك كمدربة وباحثة في هذا الحقل وضعني على المحك مع الناس البسطاء، الذين غيروا نظرتي للحياة، ربما جعلوني أكثر يقظة وتنبها لالتقاط معاناتهم الصغيرة، وتكثيفها ومن ثم توظيفها في أعمالي الأدبية. وكما تعلم، المعاناة مرض معد شبيه بأنفلونزا الطيور، سريع الانتقال والعدوى، أصبت به على الفور فوجدتني دوما مشدودة إلى جانب الضعفاء لأن الفقراء يجسدّون الحقيقة.

■ لنتحدث عن تقبل النقاد لروايتيك في الأردن والوطن العربي، هل تعتقدين أن النقد استطاع إعطاء هذين العملين حقهما من الإضاءة أو الاهتمام أم أنك مثل غالبية أبناء جيلك تعانين من ظلم النقد وتجاهله؟

■ أنا مثل أبناء جيلي ولست مثلهم تماما!.

بمعنى، أنني لا أعاني من ظلم النقد ولكنني أعاني من التجاهل. فالوسط الأدبي لا يذكرني الا عندما يصطدم بي وجها لوجه في احدي المناسبات، وأغيب عن الذكرى بمجرد انتهائها.

ولكن، لابد من الإشارة الى انه تم تناول أعمالي بالكتابة والتعليق، ولا أقول النقد، من قبل أسماء عديدة، جاءت الغالبية الساحقة من هذه الكتابات في صالح العملين. وقد نالت موزاييك نصيبا اكبر من الجدل حول بنيتها الفنية المتشظية والشبيهة بلوحة فسيفسائية، بينما توافق الجميع على نضوج شتات، وعلى تمكني من التحكم السليم في بنائها الفني. وأود في هذه المناسبة ان أتقدم بالشكر الى جميع الزملاء العراقيين الذين كتبوا عن أعمالي من دون ان يلتقوا بي، إنما حدث ان التقوا، في مصادفة خارجة عن التدبير، بأحد أعمالي الذي حرك شهيّتهم للكتابة.

المشكلة هي في أنني لا ارى نقدا فيما اقرأ. فأغلب الكتابات ـ حتى التي صدرت عن نقاد معروفين ـ لا تتجاوز النقد الانطباعي غير المدعّم بالمضامين العلمية والتقنية المعروفة في المدارس النقدية. وهذه المشكلة لم تعد سرا. بات هذا الضعف في العمل النقدي على الساحة الثقافية حقيقة واضحة لا يمكن إنكارها. وتضاف الى مشكلة النقد مشكلة أخرى هي ضعف الحراك الثقافي واقتصاره على فئة محددة لها اليد الطولى في المنح والحجب.

ليس عجبا الا يعرف النقاد في العالم العربي عني شيئا، وألا تصلهم أعمالي، والسبب هو انني لا انتمي الى أي من موازين القوى في الميدان الثقافي. فتصنيفي الأول يقع تحت بند «محامية» لا كاتبة، لذلك لا تلتفت الجهات والمؤسسات الثقافية الى أنه ومن صميم واجبها أن توجه لي دعوة لحضور مهرجان، او ندوة، او مؤتمر، او معرض في أنحاء الوطن العربي او العالم، أتمكن من خلالها التعريف بأعمالي... فالدعوات، والتمثيل، والحضور لا يشملني.

ولست منزعجة على الإطلاق، بل اني حتى متفائلة. واعتقد ان أعمالي قد بدأت الآن تأخذ نصيبها من الاعتراف من قبل المؤسسات الثقافية ومن يعملون على خدمتها.

■ أخيرا هل تبدو لك الكتابة (نافلة) تأتي في أوقات الفراغ أم أنك منشغلة فيها بشكل حميمي وتجتاحك دون هوادة ؟

■ الكتابة بالنسبة لي مس او صاعقة !

تأتي فجأة، تفرض نفسها كقدر لا مجال للفكاك منه. لا استحضرها في اوقات الفراغ، وان استحضرتها فلن تأتي. لا اقمعها وانا في ذروة انشغالاتي، وان قمعتها فلن ترحل. طقوسي في الكتابة تتراوح بين عمل وآخر فلكل عمل مزاجه ، «موزاييك» اجتاحتني من دون هوادة، شنت حربا على نظام حياتي واسقطته. فرضت نفسها بكثافة او بسماجة ولم تميز بين ليل او نهار، تنهمر بالأفكار فوق رأسي كالمطرقة، وتلح علي في تسجيلها بوقاحة وأينما تواجدت.

اما «شتات» فكانت لها طقوس مغايرة، او هكذا رسمت لها ان تكون، عقدت معها هدنة منذ البداية، وحددت لها اوقاتا، صحيح انها انتهكتها في العديد من المرات، لكنها ظلت انتهاكات محتملة لم تصل الى درجة شن الحرب.

روايتي الثالثة، لا ادري كيف ولا متى كتبت. يبدو انني كتبتها في الوقت الضائع، ما بين نشاطين، او بحثين، او سفرين او صحوتين.

وأخيرا، فعندما تجتاحني الكتابة ساترك لها حرية الاجتياح، لكني لن اقع في خطيئة التفرغ للكتابة او امتهان الأدب.

التقاها : يحيى القيسي

الروائية الأردنية غصون رحال (القدس العربي)

قص

قبلة الحياة

رشاد أبوشاور *

فتح عينيه بوهن فتبيّن ملامح وجهها.

حركّ ذراعه ببطء، فأمسكت بها برفق، وساعدته على رفعها حتى لامست أصابع يده تجعدّات وجهها، ومسدّت على شعرها الذي اعتادت أن تلونه بحنّاء سوداء ممّا يكسبه لوناً يكاد يكون طبيعيّاً.

همس لها كما كان يفعل وهو معافى، وقبل ان يتقدّم في العمر:

ـ ما أحلاك ! كأنك عروس.

ـ حبيبي،

الإبن الأكبر نظر إلى وجوه أشقائه، وزوجاتهم، والصغار المحتشدين صامتين حول السرير، وأومأ للجميع برأسه ان يغادروا ففعلوا منصاعين بسكينة، دون صوت، رغم سيل الدموع في عيون الشقيقات وبناتهن.

جسد الأب يتوارى تحت الغطاء، والأم تنحني عليه، ترطّب شفتيه بقليل من الماء، تمسح العرق عن جبينه، تمسّد على شعره الأشيب الناعم، فتنفرج شفتاه ويميل برأسه، طارفاً بعينيه كأنه راض عمّا تفعل، أو كأنه يتذكّر أياماً خلت، تماماً كما كان يفعل مستمتعاً بمدعابتها.

تنحني على شفتيه فتمتزج أنفاسهما الواهنة، وشعرهما، شعره الشائب، وشعرها المخضّب بحناء سوداء تمنح وجهها شيئاً من حيوية.

وإذ تطول القبلة، والسكوت في الداخل، يدخل الابن الأكبر، على رؤوس اصابعه، فيجدهما نائمين في السرير، يد الأب ممدودة تحت راس الأم، والرأسان مائلان، والفمّان منطبقان في قبلة دائمة لا تنتهي.

تأملهما قليلاً، ثمّ مضى على رؤوس اصابعه، وأغلق الباب بهدوء، واضعاً إصبعه على فمه حتى يسود السكوت تماماً، إذ في الداخل عاشقان ينامان بقبلة أخيرة طويلة.

ثلاث قصائد

سعدي يوسف

في عيد الميلاد

كم ساءلَتْني ، مثلك ، امرأةٌ :
هل استمتعتَ بالميلاد ؟ أينَ ذهبتَ ؟ هلْ..؟
يا صوتيَ الآتي إليَّ ، مُطوَّحاً ، بردانَ ، من طرفِ المدينةِ
أنتَ تسألني
(الحقيقةُ أنت)
هل لامستَ نجماً في نهارِ العيدِ ؟
تِبْراً
أو لُباناً ..
هل مررتَ ببيتِ نارٍ كي أُزَمزِمَ ؟
هل بكيتَ بحائطِ المبغى لأدفعَ عنه أحجاراً ورَجّامينَ ؟
هل أشرعتَ نافذتي ليدخلَها غناءُ السائرينَ إلى خنادقِهم ؟
وهل ..؟
يا صوتيَ الآتي إليَّ :
أقولُ ، في الميلاد كنتُ أسيرُ وحدي في الضواحي ؛
استوقفَتْني ، ثَمَّ ، عابرةٌ
وقالت لي : غريبٌ أنتَ ؟
لا امرأةٌ ، ولا ولدٌ لديكَ .. لتعرفَ الميلادَ عندهما ..
فَكُنْ عندي
تكُنْ في بهجةِ الميلادِ
والأعياد ..
كنْ عنديَ لتعرفَ أن مائدةَ الفقيرة خيرُ ما في الكونِ
كنْ عندي لتعرفَ أنّ ما يُدْعى الضَياعَ هو السبيلُ
وأنّ نجماً ليس يطلُعُ من فراشي ، مستحيلُ .

لندن 2006/1/4

العواصمُ تتداعَى

كلما جئتُ واحدةً من عواصمنا العربيةِ صلَّيتُ ..
ها أنت ذي !
أنت ما زلت حاضرةً (مثلَ ما كنتِ في الكتبِ الجِلْدِ مخطوطةً
أو مُرَنَّحةً في الأغاني ..)
السلامُ عليك ..
السلامُ على مَن رأى في خرائطك الحُلمَ
واستافَ في خَلْجة من هوائكَ والماءِ ذاكَ الشميمَ
المُضَوَّعَ من جنّةٍ ؛
ولتكوني حلَبْ
لتكوني المعرّةَ ، والقاهرةْ
لتكوني الرّباطَ
دمشق
طرابلُسَ الغربِ
والقيروان ..
ولتكوني التماثيلَ (آلهةَ البدوِ) مطمورةً في الرمال .
ولتكوني السجون
ولتكوني الدياميسَ تُسمَلُ فيها العيون
ولتكوني التي قطّرتْ عرقَ الموزِ
أو عرقَ التَّمر
أو عصرتْ خمرَها في الخريف المُبَكّرِ
أو شنقَتْ في الصباحِ المبكّرِ عشّاقَها ..
ثم أضحتْ تُصلّي على طبقٍ من ثريدِ الرؤوسِ .
....
....
....
النساءُ بمُرّاكش اعتدنْ أن يتنقّبْنَ ،
والطارقيُّ
ومن شاءَ أن يكتبَ الشعرَ كي يتكسّبَ ..
....
....
....
تلك البلادُ لنا
والعواصمُ فيها عواصمُنا
نحن أشرارُها
نحن أخيارُها
نحن عشّاقُها المنتهونَ إلى القتلِ ؛
لكنّ تلك العواصمَ نحنُ ،
العواصمُ (حتى ولو لم نشأْ) نحنُ.. نحنُ
فإنْ سُلِّمَتْ لسوانا
أو استسلمَتْ ،
هل سنذكرُ أُغنيةً عن دمشق ؟
هل ستذكرُ مَن كانَ منّا ، ومَن لم يكنْ بَعدُ ، أغنيةٌ من دمشق ؟

2006/1/7

الصديقة في الخمسين ..

قالت: هل تعرفُ أني أمسيتُ ، وضبطاً في العاشرةِ ، الليلةَ ، في الخمسين؟
قلتُ: ستنبتُ لي الآنَ أصابعُ خمسونَ ، فأُشعِلُها شمعاً !

* * *

قد تفقدُ سيِّدةٌ في الخمسين
ما تحسَبُهُ بعضَ نضارتها :
مثلاً ، ذاك البرقَ اللاهثَ في الخُصلةِ فوقَ جبينِ الفضّةِ
أو تكويرةَ نهدين
أو المرجانَ الذائبَ في الشفتَينِ
إلخ ..
قد تتذكّرُ أياماً
ولياليَ كانت مائجةً ، كالسَّورةِ في نهرٍ جبَليٍّ ؛
قد تتذكّرُ عشّاقاً
هجرتْهم
أو هجروها ..
أو تركوا مِيسَمهم وشْماً في تفصيلِ الجسدِ السرِّيّ .

* * *

لكني سأظلُّ أحبُّكِ..
حتى لو زدتِ على خمسينكِ خمسين !

لندن 2005/12/9